الحركاتُ الاجتِمَاعيَّةُ وأثرُها في التّغيُّر الثقافيّ والسِّياسيّ
(بحثٌ انثروبولوجيٌّ في تظاهُراتِ ساحةِ التّحريرِ)

أ.م.د. محمد جميل احمد
الجامعة المستنصرية / كلية الآداب
قسم الانثروبولوجيا والاجتماع

الملخّصُ:

تمثّل التّظاهرات واحدة من الحركات الاجتِمَاعيَّة الَّتِي تدعو إلى تغيير الواقع العراقيّ؛ لما عاشهُ المجتمع من ظروف صعبة، ولا سيما بعد عام 2003؛ اذ إن الحكومات المتعاقبة الَّتِي حكمت العراق لم تقدم المستوى المطلوب الَّذي يريده المواطن العراقي، ولا سيما انتقال الحكم من الشّمولي إلى الحكم الدّيمقراطي الَّذي من المفترض ان يحقق العدالة والمساواة الاجتِمَاعيَّة الرّفاهيَّة، إلاَّ إنَّ ذلك لم يحصل؛ بسبب المصالح الحزبيَّة والشّخصيَّة والاستحواذ على السّلطة، والتنافس والصراعات المستمرة الَّتِي انهكت المجتمع والبنى الاجتِمَاعيَّة والتحتيَّة، وقد انعكس هذا الأمر على الواقع الاجتِمَاعيّ؛ إذ اضطرّ أفراد المجتمع بمكوناته وأطيافه الاجتِمَاعيَّة كلّها أن يخرج بتظاهرات، يدعون إليها في صفحات التّواصل الاجتِمَاعيّ (الفيس بوك)، مطالبة برفع الظّلم عنها، وحماية النّظام الدّيمقراطي، والحفاظ على وحدة البلد من الأخطار الخارجيَّة، فضلاً عن تحسين المستوى المعيشيّ، وتقديم الخدمات الاساسيَّة الَّتِي يحتاج إليها المجتمع، ويعنى البحث بجانبين: أوَّلهما الجانب النّظري؛ إذ يتطرَّقُ إلى بعض الأدبيَّات المتعلّقة بموضوعه، بدراسة وتحليل علميَّ وعمليَّ؛ بغية الوصول إلى نتائج دقيقة تخدم الباحثين في هكذا موضوعات. وثانيهما الجانب التّطبيقي؛ اذ يحاول البحث استعمال المناهج والأدوات الأنثروبولوجيَّة في البحث الميدانيّ، كالمقابلة والملاحظة والإخباريون، او كما يتطلّبه البحث من أدوات أخرى، ومن ثم فإنَّ هذا البحث يقدم رؤية عن الواقع والكشف عن مدلولاته انثروبولوجيًّا، للخروج بنتائج ميدانيَّة دقيقة. أما هدف البحث فيسعى الى الكشف عن الدّلالات الثقافيَّة للتظاهرات والأهازيج المعبّرة عن الثقافة العراقيَّة، فضلا عن معرفة النّتائج الَّتِي جاءت بها ومدى التّغير الحاصل في الجانب الثقافي والسياسي وانعكاسهُ على المجتمع العراقي، وكذلك الكشف عن أهَمِّيَّة التّظاهرات بوصفها حركات اجتِمَاعيَّة جاءت نتيجة الظروف الصّعبة الَّتِي مر بها المجتمع العراقي. وخرج البحث بنتائج واقعيَّة وموضوعيَّة، تمثل الواقع الميداني للتّظاهرات الَّتِي عبرت عن حقوق المكونات المدنيَّة والريفيَّة والدينيَّة للمجتمع العراقي.

أولاً: عناصر البحث

1- موضوع البحث

تعدّ التّظاهرات أحد الوسائل الأساسيَّة الَّتِي تعبّر عن ثقافة المجتمع العراقي في كثير من المناسبات والفعاليات والممارسات، ولا سيما في محاكاة الواقع السّياسيّ. لتحقيقِ أهدافٍ اجتِمَاعيَّة واقتصاديَّة، عن طريق بعض المقالات، أو الأدبيَّات الشّعريَّة ذات المدلول الثقافي الَّذي يدل على توجه بعض، سواءٌ أكان دينيا، أم عشائريًّا أم حضريّا؛ لإيصال الأفكار للجهات ذات العلاقة بحياة النّاس، مثل الحكومة، أو النّظام العشائريّ، وغيرها؛ ممّا يساعد على اختصار المطالب بهذه الأهازيج؛ بغية تحقيقها، وهو ما يحصل في ساحة التّحرير (موضوع البحث)؛ إذ خرج جمع من أفراد المجتمع -باختلاف انتماءاتهم وتوجهاتهم-؛ لإيصال مطالب جماهيريَّة بتوافر الخدمات، ومحاربة الفاسدين، والاعتراض على بعض السّياسات الخاطئة للحكومة، وتغيير الواقع الاجتِمَاعي للمجتمع، واستعملت أهازيج كثيرة؛ أبرزها: (باسم الدّين باكونه الحراميَّة)، و(خبز حريَّة عدالة اجتِمَاعيَّة نعم للدولة المدينة)، و(شلع قلع كلهم حراميَّة)، وغيرها من هذه الأهازيج الَّتِي حفزت الشّارع العراقي، وجعلته يتفاعل معها، ويتضامن لاشعوريًّا؛ لأنَّها تمثِّل الواقع العراقيّ المُعاش، وتدلُّ على ثقافة المجتمع الرّافضة ما يحصل من سياسات خاطئة، أوقعت المجتمع في انحدار وتراجع كبيرين في معظم المجالات الاجتِمَاعيَّة.

لذلك شكَّل الموضوع تحولاً كبيرا في المجتمع العراقي، تطلّب إجراء الدّراسات والبحوث عن الظاهرة الجديدة، وتحليلها علميًّا؛ وأنثروبولوجيًّا باستحقاق. ويمكننا أن نحدّد تساؤلات منها:

1- هل إن التّظاهرات تلاقي قبولاً اجتِمَاعيّاً ثقافيّاً في المجتمع العراقي؟
2- هل أدّت التّظاهرات إلى التّأثير في السّياسات الحكوميَّة، والضغط عليها؛ بغية تقديم الخدمات والإصلاحات المطلوبة؟
3- هل تسهم التظاهرات في تكوين بيئة تفاعليَّة، بين مكونات المجتمع العراقيّ، ممَّا يساعد على تحقيق الوحدة الوطنيَّة؟
4- كيف يمكن أن نفهم الثقافة الرّمزيَّة لبعض الأهازيج التي صاحت التظاهرات؟ وما مدى تأثيرها في المجتمع؟
5- هل أسهمت التّظاهرات في تغيير الواقع الاجتِمَاعي والسياسي للمجتمع؟

2- أهَمِّيَّة البحث

تكمن أهَمِّيَّة البحث في جانبين:

الجانب النّظريّ:

يتطرق البحث إلى أدبيَّات متعلّقة بموضوع البحث، تهتمّ بدراسة وتحليل علميّين وعمليّين؛ بغية الوصول إلى نتائج دقيقة، تخدم الباحثين في مثل هذه الموضوعات.

الجانب التّطبيقي:

يحاول البحث استعمال المناهج والأدوات الأنثروبولوجيَّة في البحث الميدانيّ كالمقابلة والملاحظة والإخباريون، بحسب ما يتطلّبه البحث من أدوات أخرى، ومن ثم فإنّ هذا البحث يقدم رؤية عن هذا الوقع، وكشفا عن مدلولاته انثروبولوجيًّا للخروج بنتائج ميدانيَّة دقيقة.

3- اهداف البحث

- الكشف عن المدلولات الثقافيَّة للتظاهرات والأهازيج المعبرة عنها، وانعكاسها على المجتمع العراقيّ.
- معرفة النّتائج الَّتِي جاءت بها التّظاهرات في المجتمع العراقيّ، ومدى التّغيّر الحاصل في الجانب الاجتِمَاعيّ والسياسيّ.
- الكشف عن أهَمِّيَّة التّظاهرات، بوصفها حركات اجتِمَاعيَّة جاءت نتيجة الظروف الصّعبة الَّتِي حدثت في المجتمع العراقي.

ثانياً: مفاهيم البحث

- **التّظاهر**

وهو تعبير عن الرّاي مجموعا بضغط جماهيري؛ من أجل تحقيق مطلب المواطن، وهو أحد أشكال المشاركة السّياسيَّة، فالتظاهر فعل سياسيّ جماعيّ، يتطلب تنظيما وتحديدا للأَولويّات، وتلك من السّمات المهم تواجدها في أيّ مجتمع، وقد يكون مرمى التّظاهر التأييد أو الاحتجاج.

وحقّ التّظاهر حقٌّ منصوص عليه في مواثيق حقوق الإنسان الدّوليَّة، وهو جزء من حقّ (التعبير عن الرّأي)، و(المشاركة السّياسيَّة)؛ وسبب عده حقًّا ليس إيماناً بأن الإنسان يولد به، بل سببه تطورات سياسيَّة شهدتها أوربا منذ القرن الثالث عشر، منها الميثاق الكبير في بريطانيا الَّذي قيّد حقوق الملك، وزود حقوق المواطن. ويتكرر الأمر مع الثورة الفرنسيَّة بوضوح في ولادة ميثاق حقوق الإنسان والمواطن سنة 1789، الذي أعطى حقوقا أوسع للمواطن منها (حقوق التّعبير)، وكذلك تكرر في ثورات أخرى (منها إعلان الولايات المتحدة الأمريكيَّة) أعطى حقّ التّظاهر اليوم صبغة عالميَّة (1)

- **الأهازيج الشّعبيَّة:**

يمكن أن نعبّر عنها بأنها نوع من الأناشيد الشّعبيَّة الغنائيَّة، ولا يصاحبها أي نوع من الآلات الموسيقيَّة، فهي تعتمد -في إلقائها- المد الطّويل للكلمات، مع اصدار الصّوت الواضح الدّال على هذا التّمديد. وتُلقى الأهزوجة بحسب عادات وتقاليد منطقة الشّرق الأوسط، وبحسب لهجاتهم المحليَّة الخاصة بهم، والأهزوجة نوع من أنواع الأدب والشعر الشّعبي الذي له مكانة وأهَمِّيَّة عند النّاس؛ لما يمتاز به هذا اللّون من تجسيد واقع الأحداث، وما يمر به تجسيداً حيّا، بعبارات حماسيَّة تبعث الهمم في نفس المتلقي أو السّامع، وقد استعملت الهوسة أو الأهزوجة من العشائر؛ لغرض الانتفاض، واثاره المهم، مما يدلُّ على مدى قابليَّة الشّعر في تكوين الفكرة وإيصالها إلى المحب والمخاصم بسرعة، وفيها الإبداع مما يسَّرَ على الكثير الإتيان به في ساعة محرجة؛ لأنها تأتي ارتجالا (2) وقد كان للأهازيج أو(الهوسة) دورا مؤثرا في كثير من الأحداث في تاريخ العراق؛ لما لها من بعد قيمي واجتِمَاعي، ولا سيما في ثورات التّحرر وجميع الانتفاضات والحركات الاصلاحيَّة الَّتِي حدثت في أنحاء العالم المختلفة، سواء ما يقال منه قبل التّحرك الجماهيري، أم ما يُسمّى بالثورة الشّعبيَّة، أم بعد الثورة، وقد يصاحب هذا الشّعر أغلب الثورات الشّعبيّة التي تستند إلى قاعدة واسعة من الجماهير، ولا سيما عندما تعاني من الظلم والتعسف الاجتِمَاعي والسياسي الَّذي يفرضه المحتلون الأجانب على أبناء الوطن الواحد، وقد أدّى الشّعر الشّعبي –ولايزال- دوراً مؤثرا وفاعلاً في الانتفاضات الَّتِي قادتها الجماهير المسحوقة كلها، في الماضي والحاضر، وخير دليل على ذلك ما للشعر الشّعبي الفلسطيني وأناشيده

الثوريَّة والحماسيَّة من تأثير إيجابي في الثورة الفلسطينيَّة المستمرة منذ انطلاقها في السّتينيات إلى الآن.

وللشّعر الشّعبي –بعامة- والهوسة العراقيَّة –بخاصة- تأثير في اندلاع ثورة العراق الكبرى في عام 1920؛ إذ أدّت الأهزوجة أو (الهوسة) دوراً رئيسًا في استنهاض الهمم، وتحفيز الجماهير نحو الثورة(3)؛ لذلك فإن هذه المفاهيم تعبّر عن ثقافة المجتمع العراقي بعامة، وهي جزء من موروث ثقافيّ توارثته الأجيال عبر الزّمن، وأصبح تقليدًا يمارس في بعض الفعاليات والممارسات الَّتِي تواجه الحكومات المتعاقبة على المجتمع العراقي.

- **الحركات الاجتِمَاعيَّة**

حدد كل من تيرنر وكيليان الحركة الاجتِمَاعيَّة بأنّها فعل جمعي فعّال، له القدرة على دفع عمليَّة التّغير الاجتِمَاعي إلى مرحلة تطوريَّة متقدمة، أو مقاومتها وعدم مساعدتها في الوصول إلى مراحل تطوريَّة متقدمة.

يتضمّن المفهوم الجوانب الآتية:

1- إن الحركة الاجتِمَاعيَّة تمثّل طاقة بشريَّة حيويَّة، لها القدرة على تطوير النّظام الاجتِمَاعي للصالح العام، وفي الوقت نفسه لها الطّاقة الصّلبة القادرة على الوقوف أمام النّظام الاجتِمَاعي عندما يبتعد عن خدمة المجتمع.

2- تشتمل الحركة الاجتِمَاعيَّة على فكرة التّجمع الجمعي أكثر من الفعل الفردي.

3- تمتلك سلوكاً جمعياً يتميز بالإدراك العالي في معرفة مصالح المجتمع وغاياته، ويتمتع باستعداد سريع في التّفاعل الاجتِمَاعي بين الأفراد؛ لأجل تنظيم تجمعهم.

4- يمتلك السّلوك الجمعي القدرة الاجتِمَاعيَّة المنظمة في اتخاذ موقف موحّد، يؤثر في تسيير الأحداث الَّتِي لا تخدم شرائح المجتمع، بل شريحة اجتِمَاعيَّة واحدة(4).

وهناك من يرى أن الحركة الاجتِمَاعيَّة محاولة جمعيَّة تحاول تعديل أو تبديل أو تغيير النّظام الاجتِمَاعيّ القائم، تبدأ هذه المحاولات في المطالبة بتصحيح بعض المشكلات القائمة في المجتمع من أجل إرساء أنماط جديدة في الحياة الاجتِمَاعيَّة.

يتضمّن المفهوم جانبين أساسيين:

1. تنبلج الحركة الاجتِمَاعيَّة من خضم الاضطرابات الاجتِمَاعيَّة السّائدة في المجتمع؛ لتُظهر عدم رضا النّاس وشكواهم وتذمرهم وانزعاجهم ممّا يحدث في المجتمع من فساد إداريّ وماليّ وسياسيّ، وظلم واضطهاد أمنيّ وفكريّ، متأملين إصلاح ما هو فاسد، وتجنب ما هو قاهر؛ ليعيشوا في أمن وأمان.
2. لا ينتهي نشاط الحركة الاجتِمَاعيَّة، بل يبقى مستمراً يمثله سلوك جمعيّ، إلى أن تبلغ الحركة مرماها المنشود(5)

ثالثاً: الأدبيَّات ذات الصّلة بموضوع البحث

1. الحركات الاجتِمَاعيَّة في منظور عالم الاجتِمَاع الأمريكي والباحث في الحركات الاجتِمَاعيَّة (رودني ستارك):

أ- عوامل تكوين:

يحدد ستارك أربعة عوامل أساسيَّة في تكوين الحركات الاجتِمَاعيَّة هي:

العامل الأوَّل: الدّافع المشترك، ويعني به معاناة بعض الفئات الاجتِمَاعيَّة، الَّتِي يتكون منها المجتمع من مظالم مشتركة توحدهم، أو تجمعهم قضيَّة ومرامي

عامّة مشتركة، يطمحون إلى تحقيقها، ولا يتحقق ذلك إلّا من إحداث التّغيير. على أنّ تشكيل الحركة الاجتِمَاعيَّة، إمّا أن يكون بدافع إحداث التّغيير أو بدافع منعه، ولا سيّما إن كان التّغيير مهدِّدًا كيان الجماعة ومراميها، ذلك أنَّ الجماعة الاجتِمَاعيَّة ترفض التّغيير إذا كان الواقع المعاش يصب في مصالحها وأهدافها (6) وهذا ينطبق على تكوين الحركة الاجتِمَاعيَّة في الأنبار، وأجزاء من محافظة صلاح الدّين، والموصل، وكركوك، وديالى، والتظاهرات الَّتِي حدثت في ساحة التّحرير في بغداد، بوصفها حركات اجتِمَاعيَّة، إذ كانت لديهم مطالب مشتركة منها إلغاء قانون (4 إرهاب)، وقانون (اجتثاث البعث)، واطلاق سراح المعتقلين الأبرياء، بحسب وصفهم، ومحاسبة الفاسدين، وتقديم الخدمات الأساسيَّة للمواطنين.

العامل الثاني: التّفاؤل بالنجاح

العامل الثالث: الوقت المناسب بمعنى يُتّخذ من حدث ما أو مناسبة معينة منطلقًا لحركة اجتِمَاعيَّة، ذاك الحدث الَّذي يساعد على إثارة معاناتهم، بل يصب في قضيتهم، ومراميهم.

العامل الرّابع: شبكة اتصالات اجتِمَاعيَّة، ولا أعني هنا الفيسبوك على الرّغم من أهميته في التّحشيد والتجنيد، بل أعني شبكة الاتصالات الشّخصيَّة، نحو الدعوة للانضمام للحركة الاجتِمَاعيَّة عن طريق شبكات موجودة في المجتمع. مثل جماعة القرابة والصداقة والمهنة والنادي، وبعد أن تقف الحركة الاجتِمَاعيَّة على قدميها تبدأ الجماعات القائمة الأخرى (جماعات لها وجود وكيان في المجتمع) مثلاً اتحاد المعلمين او اتحاد العمال بالانضمام إليها.

وقد تبيّن أنّ النّاس لا يلتحقون بالحركات الاجتِمَاعيَّة؛ بسبب قراءتهم عنها في الصّحف، أو سماعهم عنها في الأخبار، لكنهم يلتحقون بها بسبب علاقاتهم الأوَّليَّة الحميمة الشّخصيَّة معها، من قرابة وصداقة. فضلاً عن أن الحركات الاجتِمَاعيَّة لا يؤسسها شخص واحد يقوم بعدها بدعوة أقاربه وأصدقائه، بل تتأسس من مجموعة أشخاص، ثم تقوم هذه المجموعة بدعوة الآخرين إليها ولاسيما أولئك الَّذين تربطهم علاقات شخصيَّة عائليَّة أو اجتِمَاعيَّة معهم، وعادة ما تنتشر عضويَّة الحركة الاجتِمَاعيَّة من جماعة إلى أخرى بدلاً من فرد إلى آخر(7).

وهذا ينطبق -إلى حدٍّ كبير- على تكوين الحركة الاجتِمَاعيَّة في المجتمع العراقي، وبغداد بخاصة، ولا سيما في ساحة التّحرير الَّتِي تعدُّ المكان المناسب للتعبير عن مرامي الشّعب المشروعة ورغباته، إذ برزت الاتصالات الشّخصيَّة (وجهًا لوجهٍ) في التّحشيد والتجنيد لها، وبرزت العلاقات العشائريَّة – القرابيَّة، فضلاً عن علاقات جماعة الدّين والجامع وعلاقات الجيرة والصداقة في تنميتها وتقويتها. وفي هذا الشّأن يمكن القول: إنّه على الرّغم من تقدم تكنولوجيا الاتصال وشبكات التّواصل الاجتِمَاعي وتناميها نحو الانترنيت والفيسبوك، وعلى الرّغم من قدرتها في التّأثير بالآخر، فإنَّ نشاطها يبقى محدود في التّعزيز والتنمية والتقوية، وليس في إحداث التّغيير المطلوب، إذ اثبتت الدّراسات الميدانيَّة – أنّ إحداث التّغيير المطلوب يقتضي استعمال شبكة الاتصالات الشّخصيَّة، وعلاقات وجه لوجه، أي الجماعات الشّخصيَّة الأوَّليَّة؛ لما تمتاز به من قدرة وفاعليَّة كبيرة في الاقناع والتأثير بالآخر، ثم التّغيير.

عوامل نجاح وفعاليَّة الحركات الاجتِمَاعيَّة:

بيّن الدّكتور ستارك وجوب توافر أربعة عوامل أساسيَّة لكي تصبح حركة ناجحة، هي:

العامل الأوَّل: الحشد الفعال، إذ يتطلّب التّحشيد الفعال للأشخاص والموارد، والقيادة الفعالة القادرة على جلب الأعضاء الفعالين المخلصين، والمطيعين المتحمسين لأهداف الحركة. فضلاً عن قدرتها على توافر الموارد الماليَّة والمنشآت اللازمة؛ لبقاء الحركة.

العامل الثاني: التّغلب على المعارضة، فنجاح الحركة يتطلّب أن تتغلّب على المعارضة الخارجيَّة، فحينما تنشأ حركة اجتِمَاعيَّة لا بُدَّ أن تقابلها حركة اجتِمَاعيَّة أخرى معارضة أو مضادة لها. والمعارضة المضادة تشكل تهديداً لوجودها، لذا يتطلب التّغلب على الحركة المضادة لها.

العامل الثالث: التّحالفات الفعالة، يعتمد بقاء الحركة في مدى قدرتها على ضمّ حلفاء خارجيين من الجماعات الأساسيَّة في المجتمع، كمنظمات المجتمع المدني (القويَّة والفعالة). مع الأخذ بالحسُبان أنه كلّما نمت الحركة الاجتِمَاعيَّة وتطوّرت، سعى معارضوها إلى تنظيم حركة مضادة لها أقوى منها؛ من أجل إضعافها، ومنعها من إحداث التّغيير؛ لذا يتطلّب الأمر الحصول على دعم حلفاء أقوياء خارجيين لمشروعها وتأييدهم. ويمكن الإشارة هنا إلى أنَّ الحركة الاجتِمَاعيَّة في بداية تكوينها تعتمد الجماعات الَّذين يرتبطون بعلاقات شخصيَّة أوَّليَّة منها (كجماعات القرابة والصداقة والمهنة)، لكن بعد تكوينها، ولكي تضمن بقاءها، وتأثيرها؛ عليها أن توسع من حجم نطاقها بضم حلفاء خارجيين يدعمون مشروعها.

العامل الرّابع: السّيطرة على محور التّنافس السّلبي، بعد أن تتكون الحركة الاجتِمَاعيَّة وتتوفر الموارد الماليَّة لها، ذلك يؤدي إلى تكوين منظمات متفرقة داخلها، هذه المنظمات تتعاون فيما بينها، وفي الغالب قد ينشأ تنافس فيما بينها بهدف السّيطرة على الحركة الأم، ويؤكد ستارك أن نجاح الحركة يعتمد على مدى قدرتها على الاستفادة من تواجد تلك المنظمات (المجموعات) وكسبها، ومنع حدوث تنافس سلبي يقوض كيانها(8)

ب- احتماليَّة أو عديميَّة نجاح الحركة في تحقيق مراميها:

يؤكد ستارك أنّ الحركة تواجه بثلاثة احتمالات، بعد أن تنجح في التّكوين، وتعرض مطالبها بالتغيير من عدمه، بحسب مصالحها:

الاحتمال الأوَّل: تلبية مطالبها كافة، وفي هذه الحالة تنتهي الحركة من الوجود، إذ تحققت مطالبها، ولم يعد هناك سبب لبقائها كحركة. وفي بعض الحالات يحاول قادتها الاستفادة من الشّهرة الاعلاميَّة والامكانات الَّتِي حصلوا عليها في أثناء تكوينها في الاستفادة منها سياسياً، إذ يتعمدون إبقاء الحركة حيَّة سياسيا، والدخول بسببها في المعترك السّياسي، مستفيدين من القاعدة الجماهيريَّة الَّتِي حصلوا عليها.

الاحتمال الثاني: تلبية جزء من مطالبها ورفض الجزء الآخر، وفي هذه الحالة يتخلّى الأغلبيَّة من أنصار الحركة خاصة المتعاطفين معها ويعودون إلى الاندماج في المجتمع ولا يبقى فيها إلّا المتحمسون لأهدافها والمنتفعون من بقائها؛ ممّا يترتب عن ذلك إعادة تكوينها.

الاحتمال الثالث: هو عدم تلبية مطالبها، والتصدّي لها بقوة سياسياً، أو عسكرياً. في هذه الحالة يتخلى عنها الكثير من المتعاطفين معها وعامة النّاس، وفي المقابل ستبقى نسبة أكبر مما هو في الاحتمال الثاني، وغالبيتهم من المتحمسين لمرامي الحركة، والمنتفعين

منها، هؤلاء يحاولون إعادة ترتيب أوراقهم، وإيجاد خيارات أخرى غير الَّتِي كانوا يتبعونها في السّابق[9].

2. التظاهرات الشّعبيَّة

لقد حظي موضوع التّظاهرات باهتمام كبير في كتابات بعض الباحثين؛ لما لها من تأثير في حياة النّاس، وقد تناوله الباحث (حسين جليلي)، ففي الأهزوجة (والشعر الشّعبي التّراثي) نرى مدى تلاحم الشّعب، ولا سيما الطّبقات المعدومة من الفلاحين بالثورة والعظمة الَّتِي قدمتها. لقد كانت الأهزوجة سجلا أميناً وصادقا لتلك الثورة؛ لأنها انبثقت منها بدون تصنيع أو اتفاق، إذ إنَّ الشّاعر ينبثق شعره من المعركة وبين الجماعة بدافع الحماسة.

وبين لنا الكاتب حسين جليلي كيفيَّة أداء الهوسة او الأهزوجة، إذ تقال بصوت غنائي يرافقها رقصة إقاعيَّة دائرية متواصلة، ويلوح الرّاقصون بأسلحتهم عند ترديد الهوسة والرقص[10].

وتناول الباحث (مهدي حمودي الأنصاري) الهوسة أو الأهزوجة، فقال: إنَّ الأدب والشعر الشّعبي له مكانة وأهَمِّيَّة بين النّاس؛ لما يمتاز به هذا اللون من تجسيد حي لواقع الأحداث، وما يمر به من عبارات حماسيَّة تبعث الهمم، والهواسة استعملتها القبائل وسيلة للتفاخر، وتحفيز الهمم، وهي توقننا على مدى قابليَّة الشّاعر على تكوين الفكرة وإيصالها إلى المحب والمخاصم بأسرع زمن، وفيها من الإبداع ما ييسر على الكثير الإتيان به في ساعة محرجة، إلّا أنها تكون بطريقة الارتجال[11]. ودرس الأستاذ (علي الخافاني) في كتابه (معلومات ومشاهد في ثورة العشرين) عن الهوسة، قائلا: إنها من العناصر المهمة في وتحفيز الهمم وإيقاظ العزائم وإعطاء العنصر المحارب، مما تساوي في التأثير النّفسي ما تساويه الآلة الفتاكة في يده، وكثيرا ما رأينا قوات محاربة تملك السّلاح والعتاد فارت منها القوى، فاذا بمهوال يحسن فن بعث القوة في النّفس فينشئ بيتا من الشّعر ويختمه بهوسة، فترى الجماهير تنطلق كالسهم في الهجوم على العدو، وكثيرا ما استفادت الجموع المقاتلة من المهاويل الَّذين يحسنون فن الإثارة[12].

ومن أهم الباحثين الَّذين تناولوا موضوع التّظاهرات (بيارفاقر) حيث ميّز بين ثلاثة نماذج من التّظاهرات، الأولى يسمها (المحركة)، وتكمن الرّئيسة في فرض رهان أو قضيَّة اخفتها اللعبة عن المسرح السّياسي بأكبر قدر من الوضوح. وبهذه الطّريقة نجح أنصار المرأة، وأنصار البيئة، في سنوات السّبعينيات، في جعل مطالبهم الخاصة بتشريع منع الحمل والإجهاض، وحماية البيئة تؤخذ في الحسبان. والثانية الممات (بالروتينيَّة) وتسمح لبعض المنظمات بالتذكير مرحليا بقدرتها على التّعبئة، وبصفاتها التّمثيليَّة الوظيفيَّة المزدوجة للشعارات المطالبة بالتعبير عن اهتمامات اللحظة الرّاهنة: الدّفاع عن القدرة الشّرائيَّة، أو إعادة المندوبين المسرحين للعمل وبتأكيد هويَّة المنظمة الثانية، وهذه هي فئة المظاهرات النّقائيَّة الكلاسيكيَّة. أما الفئة الثالثة؛ فتمثلت بالخدمات السّياسيَّة الشّاملة. ولم تعد الحركات الجماهيريَّة تتجلى في ثلثي المطالب الخاصة[13].

رابعاً: الاجراءات المنهجية للبحث.

1- منهجيَّة البحث:

يعدُّ منهج الفهم الذّاتي من لأكثر المناهج استعمالا في الفكر الأنثروبولوجي؛ وذلك لتعرف طريقة تنظيم الأفراد لثقافتهم وكيفيَّة استعمال هذه الثقافة من أفراد المجتمع المدروس، بمعنى أن الفهم الذّاتي هو فهم أفراد

المجتمع المدروس للظاهرة المدروسة وليس فهم الباحث المسبق، لهذا دائما ما يكون الباحث مطالب بالإقامة بمجتمع الدّراسة لكي يكون على معرفة بكل ما يدور في هذا المجتمع من طقوس وعادات وتقاليد، وبهاذ يستطيع أن يفسر الظاهرة المدروسة من معرفته ثقافتهم الَّتِي تعايش بها معهم في مدة زمنيَّة معينة، ولا تقل عن ثلاثة أو ستة أشهر، وإن زادت فحدها الأقصى هو سنة كاملة، بحسب ما سوغها بعض العلماء، قائلين: ينبغي أن يكون الباحث على معرفة كاملة بدورة الحياة في فصول، وبكيفة تعامل أفراد مع هذه التّغيرات الموسميَّة، وهنا لا بد من الإشارة إلى أن غالبا ما يستعمل هذا المنهج في دراسة القوميّات والأثنيّات والأعراف والطوائف، بمعنى دراسة الثقافات المختلفة عن ثقافة الباحث، لهذا لا بد من الابتعاد عن الاحكام المسبقة الَّتِي يحملها الباحث قبل اقامته في مجتمع الدّراسة[14].

2- مجتمع البحث:

يمثل مجتمع البحث مجموعة من الأفراد الَّذين ينقسمون إلى عدة مكونات من مكونات المجتمع العراقي، سواء كانوا مجتمع حضري أم مجتمع ريفي أم ديني، ويجتمع أفراد مجتمع البحث في مكان معلوم هو ساحة التّحرير(نصب الحريَّة)؛ للتعبير عن مطالب وحقوق يعدوها مشروعة، وضمنها الدّستور بحسب رأيهم، متخذين أساليب كثيرة للتعبير عن هذه الحقوق أبرزها (الأهازيج) موضوع البحث، التي كانت عاملاً ثقافيا مؤثرا في تحفيز وشحذ الهمم؛ لإيصال أصواتهم إلى الحكومة من أجل الوقوف عند هذه المطالب.

3- مجالات البحث

1. **المجال البشري:**

حدّد المجال البشري بالأفراد المتواجدين في ساحة التّحرير ومن كلا الجنسيين مجالاً بشريا للبحث.

2. **المجال المكاني:**

حددت ساحة التّحرير في الباب الشّرقي والمثبتة إداريا في حدود أمانة بغداد مجالاً مكانيا للبحث.

3. **المجال الزّماني**

وهو الوقت المحدد للبحث والذي امتد ما بين المدة (1/4-1/5) لعام 2016.

4- أدوات البحث

1. **الملاحظة:**

تفضل طريقة الملاحظة المباشرة في جمع المعلومات، ولا سيما إذا كان موضوع الدّراسة سلوكا إنسانيا معينا، أو ظاهرة اجتِمَاعيَّة في مدارسهم وأنماط سلوكهم الإداري، والتفاعل بين المدرسين في التّدريس، هذه الدّراسات وغيرها تصلح فيها طريقة الملاحظة[15].

وتختلف الملاحظة المباشرة كطريقة علميَّة لجمع المعلومات في دراسة من الدّراسات عن الملاحظات العارضة الَّتِي تتفق لنا في الحياة التي نبني عليها كثيرا من احكامنا ومفاهيمنا عن النّاس والأشياء والظواهر- فالملاحظة العلميَّة تتوخى الدّقة والموضوعيَّة وتتجنب التّحيزات- أو تخفض من حدتها في الأقل –عند النّظر في الظاهرة موضوع الدّراسة، ومن أجل ذلك يتوسل الباحث فيها ببعض الأدوات الَّتِي تعينه على ذلك[16].

2. **المقابلة:**

تعد المقابلة من الوسائل المهمة في جمع البيانات، ومن طريقها يستطيع الباحث جمع المعلومات والبيانات التي تساعده في توجيه عدد من الأسئلة للذين يُختارون في البحث (مجتمع الدّراسة) وتدوين الإجابات أي فتح حوار لفظي وجه لوجه بين الباحث وبين الأفراد أو المجموعة الَّتِي يريد الباحث التّركيز فيها لجمع المعلومات المطلوبة[17].

ومن طريقة المقابلة يمكن الحصول على المعلومات المطلوبة التي تدور في ذهن الباحث، وترتكز المقابلة على دقة الاتصال والتفاعل بين الباحث وبين من تجري المقابلة معه[18].

3. الإخباريون:

يعدُّ الإخباريون مصدراً رئيساً للحصول على المادة الانثوجرافيَّة، فهم جزء من مجتمع الدّراسة، وغالبا ما تكون معرفتهم عميقة بجانب أو أكثر من جوانب الثقافة والشعائر والممارسات والعادات والتقاليد، وكيفيَّة الاحتكام إلى النّسق العرفي في حل المشكلات الَّتِي يوجهونها في حياتهم اليوميَّة، وغالباً ما يستسقي الباحث مادته من الإخباريين بانتظام، وهذا لا يمنع من مراجعة مادته على نطاق أوسع مع أفراد آخرين من غير المخبرين، وهناك جانب كبير في المادة الأنثوجرافيَّة يمكن الحصول عليها عن طريقهم[19]. فالإخباريون هم مجموعات من الأشخاص يمكن أن يمدوا الباحث بمعلومات قيمة ومفيدة بشأن موضوع الدّراسة، وتتنوع هذه الجماعة من ناحية المهنة والعمر والنوع[20].

خامساً: التظاهرات في ساحة التّحرير (العمل الميداني)

تمثل التّظاهرات ذات الطّابع المدني والريفي والديني أهَمِّيَّة واضحة عن طريق شعارات الاحزاب العلمانيَّة والعشائريَّة والدينيَّة الكثيرة وأهازيجهم، الَّتِي تحاول تبني الخطاب السّياسيّ المعارض الَّذي يرمي إلى تصحيح المسار الحكوميّ بما يتوافق وبناء المجتمع الحديث الَّذي يعتمد على المهنيَّة والنزاهة والعمل المخلص في الأداء الوظيفيّ الَّذي يسهم في بناء مؤسسات رصينة، تقوي عمل الحكومة، وتعزز بناء الدّولة، ولذلك فإنّ هناك رؤية انثروبولوجيَّة لهذه التّظاهرات وما تمثله من انعكاسات على الواقع العراقي، فالبحث تضمن محاور متعددة، أهمها:

1. التّظاهرات ذات الطّابع المدني.

تنوعت التّظاهرات والأهازيج بطرق مختلفة؛ للتعبير عن الثقافة الحضريَّة (المجتمع المدني) اذ كانت ذات واقع وعمق كبير نابع من الشعب في ضرورة إيصال اصوات وطلبات المتظاهرين، وهذا ما أكده أحد المبحوثين قائلا: الأهازيج هي تلك الَّتِي تطلق على الحكومة او السّياسيَّة القائمة من أجل إصلاح الوضع القائم للبلد وتغيره نحو الأفضل من أجل إصلاح الوضع السّياسي والاجتِمَاعي وتوحيد المجتمع، ومن الأهازيج الَّتِي تعطي هذا المعنى (أخوان سنة وشيعة هذا الوطن ما نبيعه). ويرى أحد المتظاهرين بأن الأهازيج لها تأثير كبير في الحكومة والسياسيين القائمين على البلد يمكن أن تكون قد حققت بعض النّتائج، والبعض الآخر في طريق التّحقيق* واتضح من طريق المقابلة الميدانيَّة أن التّظاهرات تؤدي إلى توعية الشّعوب والمجتمع للمطالبة بحقوقهم المسلوبة من الحكومة والسياسيين والرسائل الَّتِي يريدون إيصالها إلى الحكومة عن طريق الأهازيج الَّتِي يطالبون بها، فتتمثل بتحقيق العدالة الاجتِمَاعيَّة للمجتمع، ومن العمل الميداني اتضح أن هناك بعض الأهازيج الحماسيَّة الَّتِي تحفز المتظاهرين، وتسهم في بناء المجتمع المدني، وذلك؛ لأنَّها

تدعو إلى الاحتجاج والمطالبة بالحقوق بفعل تأثيرها في الجماهير كالأهزوجة التّالية (باسم الدّين باكونه الحراميَّة) ويرى آخرون أن مضمون الأهازيج ودلالتها تبين للسامع مدى الضّغط والمعاناة في قلوب النّاس وتبين كذلك مرامي الجمهور وغايتهم ومطالبهم، وكذلك الوعد والوعيد من الأهازيج بالتهديد بعدم الخضوع والاستسلام امام سياسات الحكومة، وتظهر للحكومة مدى قوة الشّعب وحماسه. وقد حققت الشّيء الأهم وهو إزالة الخوف من بعض أفراد المجتمع والجرأة بالقول ومواجهة الظلم وتهديد الفاسدين وفضح أعمالهم الخبيثة أمام وسائل الإعلام... ويقول أحد المتظاهرين أيضاً: إن المرمى من هذه المظاهرات والأهازيج هو أننا نحرك الشّارع العراقي للمطالبة ببعض الحقوق المسلوبة ونكشف الفاسدين الَّذين يتواجدون في كل مفاصل الدّولة، ولا نصمت ولا نكمم الأفواه، ولا نتحمل أكثر من هذا الوضع، وكذلك الدّعوة للتحشيد وتكاتف أبناء الشّعب كافة من مدني وعسكري على حد سواء، ومن هذه العبارات الَّتِي رفعها المتظاهرون الَّتِي تدل على توحيد الشّعب (يا جيش يا سور الوطن لا توكف ويا الظالم). **

ومن طريق العمل الميداني برزت أهزوجة مؤثرة تمثل التّوجه المدني بكل مكوناته، نحو الأهزوجة الآتية (صار البوك للهامة من طب بيها أبو عمامة) وهي تمثل الاتجاه المدني وتهاجم السّياسيين الفاسدين بوضوح، وباستهزاء الشّعب بكلامهم الزّائف الَّذي يعد تخديراً للناس من دون تقديم أي خدمة للشعب، ولا سيما السّياسيين المعممين الَّذين يقومون باستغلال مبادئ الدّين للتأثير في النّاس وكسب قاعدة جماهيرية للفوز بالانتخابات. واتضح أيضاً أن التّظاهرات الَّتِي حدثت في ساحة التّحرير بعامة لها تأثير قوي في الحكومة، فهي تنقل كلام النّاس ومعاناتهم بهذه الأهازيج إلى الحكومة؛ لتحقيق مطالبهم وحقوقهم.

ويرى أحد الإخباريين أن الأهداف المطلوب تحقيقها هي استعمال الصّوت الوطني؛ لتسقيط الفاسدين، ومحاسبتهم، وعدم تدخل أي جهة سياسيَّة أو حزب بأهازيج المتظاهرين، وعدم استعمال الأهزوجة لمصلحة شخصيَّة، وكذلك استعمال الأهازيج الَّتِي تدعو إلى وحدة المجتمع، وفي مقابلة ميدانيَّة*** مع أحد المتظاهرين قال: إن الأهازيج أو الشّعارات الَّتِي تطلق هي شعارات مدروسة نابعة من إحساس كامل عن هذه الجماهير بالتغير الحقيقي لشكل الحكم في العراق، بمعنى آخر نبذ نظام المحاصصة الطّائفيَّة القوميَّة برمته بعد أن أثبت هذا الشّكل المشوه للحكم فشله الذّريع في قيادة الدّولة والمجتمع ولا يزال السّبب الأوَّل لخراب هذا البلد، ومن هذه الأهازيج (لا سنيَّة ولا شيعيَّة نريد دولة مدنيَّة) ويرى أيضاً أنَّ بناء دولة مدنيَّة تقدم على أساس الدّيمقراطيَّة، هو ضرورة ومطلب جماهيري مهم وأساس في عالم انتقل إلى مرحلة لم يعد ممكناً فيها نجاح الاستبداد وسيطرة الشّموليَّة والحريَّة هي مبتغى إنساني يتحدد في بناء دولة ديمقراطيَّة، ويرى أن تلك الأهازيج شكلت ضغطا على الحكومة في تلبية مطالب المجتمع وتوجيهه نحو الدّولة المدنيَّة، وأنَّ الهدف من هذه المظاهرات هو ترسيخ مفهوم الشّفافيَّة في الدّولة والمجتمع وترسيخ فكرة احترام القانون وحقوق الأفراد ورفع نسبة التّثقيف والمعرفة بالمجال السّياسي. ويرى أحد الإخباريين أيضاً: أن التظاهرات التّوعوية التي تحمل صفة الأهازيج التّربويَّة الناصحة المعبرة مؤثرة في رأي المجتمع المدني، وإن تأثير هذه الأهازيج يظهر من السّلوك الإنساني والثقافة البشريَّة الفكريَّة، ومن القدرة اللغويَّة في فن التّأثر والتأثير. ويرى آخرون أيضا أن المرامي المراد تحقيقها من بعض التّظاهرات هي حشد الهمم والتوعية، وتحقيق الرّسالة المراد إيصالها إلى

الحكومة، وقوة الكلمة في الأهزوجة المؤثرة في الرّاي العام، وسهولة فهم الأهزوجة، واستعمال السّهل الممتنع فيها؛ لكي تصل إلى الحكومة بوضوح، والغاية من تلك التّظاهرات هي تحقيق الأمن والأمان للمجتمع، وتوافر المعيشيَّة الكريمة، وتوافر فرص العمل للمواطنين والشباب الخريجين، والاهتمام بشريحة الفقراء والمساكين والأرامل، ومن الملاحظة نرى أن التظاهرات تسهم في بناء المجتمع وتدعو إلى وحدته وإلى نبذ الطّائفيَّة، ولها تأثير عميق في المجتمع والمرمى منها هو توحيد الصّفوف ونبذ الطّائفيَّة، وكذلك ابتعادها عن المصالح الخاصة، وتحقيق الاستقرار للمجتمع.

وعن طريق العمل الميداني تبين ان التظاهرات ذات الطابع المدني اتسمت بالتنظيم والسلمية، وان اكثر الافراد الداعمين لهذه التظاهرات هم من الحزب الشيوعي العراقي، الذي طالما نادى بحرية الرأي وفضح الفاسدين والعدالة والمساواة في فرض العمل، ومحاربة الارهاب والتصدي له بكل الوسائل ودعم القوات العراقية، ومواجهة الطائفية بكل اشكالها. وهذا ما اكدته شعاراتهم التي تدعو الى الوحدة والتكاتف بين مكونات الشعب المختلفة، ومن اللافت للنظر ان العنصر النسوي كان حاضراً في معظم المظاهرات للمطالبة بحقوق المرأة وتشريع القوانين التي تحميها من الاعتداء والتهميش ومساواتها في الحقوق الواجبات مع الرجل، إذ شهدت ساحة التحرير تجمعات كبيرة ومنظمة في كل جمعة واحياناً في ايام اخرى من الأسبوع اذا تطلب الامر ذلك، وان هذه التجمعات كانت تخضع لقيادة موحدة وهي التي تصدر التعليمات للجماهير لتوحيد الخطاب والشعارات والاماكن التي يتواجدون فيها، اذ تخللت هذه التجمعات اغاني وطنية تتغنى بحب الوطن والجيش وتدعو الى المحبة ومواجهة دعوات التقسيم والوقوف مع الشعب في مطالبة المشروعة تجاه الحكومة، وبهذا فإن التظاهرات ادت دوراً مهماً في ايجاد الحلول والتأثير على القرار السياسي في اكثر من حالة وشجعت الناس على توحيد الصفوف وضرورة التغيير في مفاصل الحكومة لما هو أصلح، فكانت التظاهرات ذات الطابع المدني عاملاً فاعلاً في احداث تحولات كبيرة في الواقع السياسي والثقافي في المجتمع العراقي.

2. التّظاهرات ذات الطّابع الرّيفي.

يرتبط الانحدار الاجتِمَاعي لأغلب المكونات العراقيَّة من طريق الامتداد الرّيفي، ولا سيما أن أغلب الموجودين في بغداد هم من منحدرات ريفيَّة أسهمت الهجرة فيه بنحوٍ كبير في سكنهم في بغداد، فضلاً عن العوامل الاقتصاديَّة والسياسيَّة، فضمن هذه الثقافة الرّيفيَّة هناك ممارسات ومناسبات تركز في الجانب الثقافي على نحو عام، وعلى الأهازيج في مناسبات الأفراح والمناسبات الاجتِمَاعيَّة الأخرى، وكذلك المواقف السّياسيَّة فكانت هذه الأهازيج تشكل الدّافع والمحرك الأكثر في تحشيد النّاس في مواجهة الحكومات السّياسيَّة المتعاقبة؛ إذ يرى أحد الإخباريين: أن التّظاهرات لها تاثير واضح في السّياسة الحكوميَّة من أجل توحيد صفوف الشّعب في ما بينهم، من أجل تحقيق المرامي التي يسعى إليها المجتمع، وهي تغيير واقع المجتمع نحو الأفضل، لذلك هناك تظاهرات ترتبط بأهازيج تاريخيَّة لازلت في عصرنا الحالي وما حملت لنا من آثار واضحة على المجتمع الَّذي كان ولا زال يستمر عليها حتى وقتنا هذا. نحو المقولة: (الطُّوب أحسن لو مكياري).

واتضح من طريق الملاحظة المشاركة بأن الأهازيج الرّيفيَّة كانت ولازالت هي قاعدة يستند إليها الرّيفيون وهي من المقومات الأساسيَّة الَّتِي يحظى بها

المجتمع بالاعتماد على الأهازيج من أجل تنقية المجتمع ومثال على ذلك (انت ابن السّيوف الَّتِبرج موش المضمومة))****

ويقول أحد الإخباريين أيضاً: أنَّ الأهازيج لها دور كبير وفعال داخل المجتمع، وهي تؤدي إلى الوحدة الَّتِي يستند إليها المجتمع، والترابط في ما بينهم، من اجل تحقيق رغبات المجتمع، وهذا ما أكده أحد الإخباريين بقوله: للأهازيج الرّيفيَّة دور كبير في المجال السّياسي والحكومي لما يتناسب مع ثقافة المجتمع، وشاهدنا كيف غيرت هذه الأهازيج سياسات وأحدثت ثورات كبيرة وتاريخيَّة أشهرها ثورة العشرين، وإحدى الأهازيج الرّيفيَّة المتداولة هي: (الصاحب والوياه يوافي ولما تسد صوابه) *****

وكذلك فالأهازيج تمثل واقع المجتمع إلّا نه يتداول الكلام السّلس المفهوم، ولا سيما أن أحد جوانب هذا الكلام الأهازيج، ونلحظ في هذا الوقت أن اشهر الأهازيج المتداولة بين المجتمع هي ((ما معلومه يا ساعة أطك)).

وكذلك اتضح من العمل الميدانيَّ أن للأهازيج الرّيفيَّة تأثيراً كبيراً في المجتمع؛ لأنها تعطي دافعاً حماسياً لتحفيز الرّوح الوطنيَّة للفرد في المجتمع الَّتِي تؤثر في سياسات الحكومة. واتضح أيضاً من الملاحظة أن الأهازيج الرّيفيَّة تعد في المجتمع العراقي كالتراث، وأنها لا زالت موجودة مثل الأهزوجة الَّتِي القيت في الميدان ((لانه مرافك جاريها ولانه يعكس الماي مغرب)). واخبرنا أحد المتظاهرين أنه يرى أن الأهازيج لها مكانة قويَّة في المجتمع، فبعض الأهازيج تعبر عن الوحدة، وتعبر أيضاً عن المدح والذم، وغيرها، وتعبر عن ما في شخصيَّة الفرد نحو الأهزوجة الَّتِي تقول: ((احنة ويه الصّاحب صاحب لا نتعايز منه ولا نطيه)) واتضح من العمل الميداني ان التّظاهرات والأهازيج من التّراث العراقي ولها امتداد طويل في الماضي وتكثر هذه الأهازيج في وسط وجنوب العراق، ولها تأثير واضح في عواطف سكنه تلك المناطق إذ تودي إلى رفع المعنويات وزيادة روح الحماسة لدى النّاس.

أكد لنا أحد الإخباريين أهَمِّيَّة الأهازيج فيقول: أن الأهازيج الرّيفيَّة تحظى باهتمام كبير من العشائر العراقيَّة الاصليَّة، من اهمها تلك الَّتِي يقصد بها المديح للعشيرة او الشّخص او الدّين وكذلك الوطن ايضا ****** وقال متظاهر اخر: بان الأهازيج الرّيفيَّة تعد من الأصول وجزءاً مهماً من التّقاليد في مجتمعنا، وبالطبع لها قوة في وحدة الصّف العراقي، ولا سيما أن مجتمعنا من المجتمعات الَّتِي تحترم أصولها وتقاليدها.

يقول احد الإخباريين: إن التّظاهرات مهمة جدا ولها الدّور الفعال، والتأثير السّياسي، ولا سيما في المجتمع الجنوبي؛ لأنها تعبير حقيقي عن معاناة المجتمع ونابعة من ثقافته.

واخبرنا أخر أيضاً بأنه: الأهازيج الرّيفيَّة - طبعا - لا زالت تحظى باهتمام الاوساط العشائريَّة، ولا سيما في جنوب العراق، إذ تمثل بعض الأهازيج الدّور الفعال في المناسبات المختلفة الاقوى تأثيرا في الناس سواء كانت هذه المناسبات فرح أو حزن. واتضح عن طريق الملاحظة بالمشاركة: تبين بأن الأهازيج تتمتع بالقوة بين النّاس في المجتمع وكذلك توحي إلى وحدة المجتمع بكل أطيافه، ولا سيما أن المجتمع العراقي يتأثر بالقبليَّة والعشائريَّة******* ويقول أحد المتظاهرين: إن تأثير الأهازيج الرّيفيَّة ضعيف في السّياسة بعكس الأهازيج الوطنيَّة الَّتِي تؤثر في الحكومة إلّا إن الأهازيج الرّيفيَّة مرادها قريب ولا يفهم معناها كل العاملون بالسياسة، ويضيف إخباري آخر: إن الأهازيج الرّيفيَّة

تحظى باهتمام المجتمع حيث تزيد من قوة المجتمع وحماس المواطن عبر التّاريخ، اذكر واقعة حدثت في النّظام السّابق، إذ قام احد رجال النّظام وقال: نحن الّذين فجرنا ثورة العشرين، فرد عليه احد اقارب الشّيخ شعلان ابو الجون وقال ((لو يعلم بكم شعلان ابو الجون كان شق الكفن وطلع مجنون)).

وهذه دلالة واضحة على إعتزاز المجتمع العراقي بتأريخه والتفاخر به أمام الاجيال ليكون دافعاً معنوياً لاستلهام الدروس والعبر في مواجهة التحديات الكبيرة التي تواجه البلد. واتضح من العمل الميداني ان التظاهرات ذات الطابع الريفي أو الشعبي لم تختلف عن سابقتيها في توحيد الاهداف والعمل المشترك لتقوية الصف الوطني عن طريق الاهازيج الجميلة التي تتغنى بحب الوطن وتدعو الى محاربة الفاسدين ورفع راية الإصلاح في المنظومة الحكومية، فكانت معظم التوجهات العشائرية بكل مسمياتها داعمة للوحدة ورافضة للتقسيم، وكان لحضورهم في كل يوم جمعة الاثر البالغ، اذ تتوافد الجماهير من كل المحافظات العراقية للمشاركة في التظاهرات ومساندة إخوانهم من التوجهات الاخرى، فقد كان حضوراً متميزاً أسهم على نحو كبير في توحيد الكلمة ورص الصفوف تحت راية واحدة لخدمة ابناء الوطن ومواجهة الاعداء، لذلك برزت مواقف رائعة في ساحة التحرير تعبر عن عمق الروابط بين ابناء البلد الواحد فكانت الاهازيج والشعارات التي ترفع في هذه الساحة تعبر عن مصداقية هؤلاء الناس في احداث التغيرات السياسية والثقافية بما يخدم المصلحة العامة للبلد.

3. التّظاهرات ذات الطّابع الدّيني.

يعد المجتمع العراقي مجتمعا محافظاً على تقاليده، وتغلب عليه الصّفة الدّينيَّة، مما جعل الحضور الاكثر في ساحة التّحرير من التّوجهات الدّينيَّة المعارضة للحكومة الَّتِي تتبنى أهازيج واضحة في مواجهة السّياسات الخاطئة للحكومة، التي ترمي إلى تقويم العمليَّة السّياسيَّة بما يتوافق مع التّوجهات الشّرعيَّة الَّتِي نصت عليها الكتب المقدسة والاحاديث الدّينيَّة، ومن طريق المقابلة******** في ساحة التّحرير مع احد المتظاهرين تبين بأن الأهازيج الدّينيَّة لها تأثير واضح وفعال على التّظاهرات، وأنَّ الأهازيج الدّينيَّة لا ترتبط بطائفة أو مكون محدد، بل تشمل جميع المكونات ومثال على ذلك(باسم الدّين باكونة الحراميَّة) وايضا (نعم نعم للعراق) فهذه الأهازيج هي تنبع من الواقع العراقي، فهي تحث على نبذ الفساد، وتحث إلى الاصلاح: ويقول احد المتظاهرين: إنَّ الأهازيج مرتبطة بالمرجعيَّة وجاءت الأهازيج من دعم رجال الدّين المعروفين بالخطاب الدّيني المعتدل، وهي أهازيج وطنيَّة وليست دينيَّة مثل الأهزوجة الَّتِي تقول (نعم نعم للعراق) (كلا كلا للفساد نعم نعم للإصلاح) لأن العراق جامع كل الطّوائف والقوميات. ويرى اخباري أخر بأنه حتى الآن لم يتغير أي شيء، ولا توجد أي نتائج مما سمعناه من الشّارع من قام بالتظاهر، بسبب صمت الحكومة وعدم استجابتهم لمطالب الشّعب.

ويرى اخباري آخر خلال مقابلة اجري معه*********: أن التّظاهرات وطنيَّة، وأن الوطن للشعب وليست لطائفة معينة والأهازيج الَّتِي كانت في ساحة التّحرير تشمل جميع مكونات الشعب وأطياف وعن طريق الملاحظة المباشرة يتبين أن الأهازيج بعيدة ومحددة بالواقع العراقي الَّتِي تحث على نبذ الفساد والدعوة للإصلاح، وهناك من يحكم باسم الدّين، وهؤلاء الدّين براءة منهم بسبب فسادهم وعدم احترامهم للدين.

ومما تتقدم يمكن ان نقول: بأن التّظاهرات الَّتِي حدثت في المجتمع العراقي الَّتِي تدعو إلى الاصلاح والتي استمرت إلى اشهر عدة واعتصامات مفتوحة ولا سيما في يوم الجمعة، كانت موحدة في مراميها وتحقيق مطالبها المشروعة، لكن هناك محاولات من بعض السياسيين المدنسين قد حاولوا اختراق المظاهرات لتحويل هذه المظاهرات إلى حسابهم او خلق فوضى وانشغال الشّعب فيها، لدعوى انها هؤلاء لا يمثلون الشّعب، او مدعمون من جهات خارجيَّة، مما انعكس سلباً على بعض الاجراءات الحكوميَّة الَّتِي حاولت قمع هذه المظاهرات بطريقة غير قانونيَّة وحضاريَّة باستعمال، العنف، والأسلحة الخفيفة، والغاز المسيل للدموع، والماء الحار، وغيرها من الاساليب الَّتِي زادت من قوه الشّارع وتلاحمه في مواجهة الفساد، والدعوة إلى الاصلاح في كلِّ مفاصل الدولة. ومن جانب أخر؛ فإنَّ للإعلام دوراً اساسياً في هذه المظاهرات ومنهم من كان داعماً مطالب المتظاهرين، وأسهم كثيرا في نقل الوقائع والأحداث واصوات الجماهير بكل مصداقيَّة وامانة وموضوعيَّة، والبعض الاخر، قد أدى دوراً سلبياً عن طريق تشوية سمعة المتظاهرين، والطعن بهم، واتهامهم بانهم متطرفون ومشاغبون وخارجون عن القانون، ولكن بقيت هذه المظاهرات رغم كل المعوقات والصعوبات قائمة كل يوم جمعة ولها مؤيدها ومناصريها من كل اطياف الشّعب العراقي، واصبحت ساحة التّحرير منبرا حرا لكل الشّرفاء، لكن ضل الصّمت الحكومي، وعدم جديتها في تنفيذ الاصلاح الحقيقي الَّذي نادى بها الشّعب في محاسبة الفاسدين وسراق المال العام، لذلك لا زال الصّوت الوطني العراقي يترقب ويتأمل في تغيير الواقع العراقي بما يتناسب مع مكانة واسم العراق في العالم.

وبهذا فان التظاهرات ذات الطابع الديني كانت اكثر تأثيراً، وان الشارع العراقي يترقب كل جمعة جولة جديدة ومواجهة حقيقية في التصدي للفساد والدعوة إلى الاصلاح ونبذ الطائفية، وهذا ما نلحظه من شعارات واهازيج مختلفة. اذ شهدت ساحة التحرير جماهير مليونية في اكثر من جمعة كانت تنادي كلها بالاصلاح ومحاربة الفاسدين، وكان هناك ايمانٍ واضحٍ لدى اغلب الحاضرين بضرورة الاستمرار بالمطالب المشروعة حتى تحقيقها من قبل الحكومة والضغط عليها من اجل الاسراع في تشريع القوانين التي تخدم المواطن وتحاسب الفاسدين، وهذا ما اكده احد المتظاهرين بقوله: (لن نترك ساحة التحرير حتى تتحقق كل مطالبنه) ولابد ان نؤكد حقيقة مهمة برزت عن طريق العمل الميداني.

ان معظم الافراد المتظاهرين اصحاب التوجه الديني كانوا ملتزمين بالحضور كل جمعة الى ساحة التحرير أو في أي يوم آخر بحسب التوجيهات التي تصدرها قيادة التظاهرات أو الزعماء الدينيون في ضرورة الخروج واسماع اصواتهم للحكومة وان معظم هذه التظاهرات كانت ومازالت تحمل الطابع السلمي وهناك توصيات كثيرة تدعو الى التعاون مع الجيش والشرطة وباقي الاجهزة الامنية الاخرى، وبهذا فقد نجحت هذه التظاهرات في ايصال مطالب الجماهير الى الجهات السياسية والحكومية، فكانت ذات فعالية وتأثير كبيرين عن طريق احداث بعض الاصلاحات على المستوى السياسي في الحكومة والدعوة الى تشكيل حكومة تكنوقراط.

سادساً: نتائج البحث

1) التّظاهرات والأهازيج ذات البعد الدّيني قد شكلت تأثيرا واضحاً في ساحة التّحرير، وذلك لأنها مدعومة من فئات المجتمع فضلاً عن المراجع الدّينيَّة المعروفة في المجتمع العراقي.

2) هناك تفاعل واضحاً في تظاهرات ساحة التّحرير بين فئات المجتمع سواء كانت الدّينيَّة والعلمانيَّة الَّتِي حاولت كشف المفسدين والفساد واصلاح النّظام السّياسي وتقديم الخدمات للمواطنين، اذا اتفق الجميع على أن مصلحة البلاد والمواطن فوق كل شيء.

- عبرت التّظاهرات والأهازيج الدّينيَّة عن واقع المجتمع بوصفه مجتمع متدين فكانت تخاطب بعض من شرائح المجتمع بخطاب وطني بعيد عن الطّائفيَّة والقوميَّة.
- اتضح من البحث ان الخطاب الدّيني في التّظاهرات كان يهدف إلى توحيد المجتمع وابعاده عن التّقسيم ومثال على ذلك (اخوان سنة وشيعة هذا الوطن منبيعة).
- هناك تمازجاً وتداخلا بين الماضي والحاضر في التّظاهرات عن طريق استذكار الأهازيج العشائريَّة الَّتِي يعتز ويفتخر بها العراقيون في ماضيهم الَّذي واجه الاستعمار فكانت هذه الأهازيج دافعا لمواجهة الحكومات الفاسدة.
- الأهازيج الرّيفيَّة او العشائريَّة تعطي دافعاً وحماسا وقوةً للمتظاهرين؛ لأنها تعبر عن واقع ومعاناة المجتمع ولاسيما ذات الانحدار الرّيفي والطابع الشّعبي الَّتِي تضررت كثيراً.
- الأهازيج الرّيفيَّة كان لها حضور واضح في ساحة التّحرير وقد عبر عنها رجال العشائر المختلفة بزيهم العربي، وكانوا يهتفون بهذه الأهازيج ظنا منهم بأنها سوف تحدث تغيرا في الواقع الاجتِمَاعي.
- التظاهرات ذات البعد الرّيفي قد اثرت تأثيراً واضحاً في نفوس العراقيين؛ لأنها تخاطب الفعل الجمعي الَّذي يمثل الامتداد الرّيفي لمعظم العراقيين عن طريق التّعاون والتضامن والتكاتف يداً بيد ضد اعداء الوطن.
- التظاهرات ذات البعد الثقافي كانت تعبر عن واقع الشّريحة المثقفة وما الحق بها من معاناة، وانعكاسهُ على واقع المجتمع على نحو عام، فمعظم الأهازيج كانت تمثل احساسا وطنيا في نفوس الافراد.
- معظم التّظاهرات ذات البعد المدني هي تهدف إلى محاسبة المفسدين، أو فصل الدّين عن السّياسة ومثال على ذلك الأهزوجة القائلة: "بسم الدّين باكونة الحراميَّة". فكانت تدعوا إلى محاسبة المفسدين وسراق المال العام، وارجاع الاموال المنهوبة واصلاح النّظام الاقتصادي للدولة بعامة، كالأهزوجة القائلة (لا حزبيَّة لادينيَّة نريد دولة مدينة) وهذا ما يعني يجب على الحكومة القائمة إعطاء الحقوق الكاملة للمواطن وتحقيق الرّفاهيَّة للمجتمع.
- التّظاهرات المدنيَّة وشعارتها قد توافقت مع معظم الاتجاهات والتيارات الاخرى؛ لأن معظم هذه الأهازيج كانت تدعو إلى الوحدة والوئام بين مكونات المجتمع، والحفاظ على المال العام وبناء المؤسسات.
- التّظاهرات المدنيَّة كانت تدعو إلى الابتعاد ع الطّائفيَّة والقوميَّة في سياسة الحكومة، مما أدى إلى تفعيل الحراك الاجتِمَاعي بين مكونات المجتمع، وكانت معظم شعارتها وأهازيجها تتغنى بحب الوطن وتدعوا إلى انهاء المحاصصة ومحاسبة المفسدين، فكانت تعبر عن الشّارع العراقي وشكلت شرارة الثورة الاولى لانطلاق تظاهرات ساحة التّحرير ومازالت تمثل قوة مؤثرة على جميع السياسيين.

الهوامش والمصادر

1) التّظاهر- ويكيبديا، الموسوعة الحرة http://ller.wikipedia.org/wiki1

2) عبد الحسين كريم الشّيخ، الهوسة ودورها في ثورة العشرين، مجلة التّراث الشّعبي، وزارة الثقافة والاعلام، دار الحريَّة للطباعة، العدد3، 1987، ص90.
3) مهدي حمودي الانصاري، الهوسة ودورها في ثورة العشرين، مجلة التّراث الشّعبي وزارة الثقافة والاعلام، دار الحريَّة للطابعة، العدد17، 1975، ص82.
4) معن خليل عمر: الحركات الاجتِمَاعيَّة، ط1، عمان، دار الشّروق للنشر والتوزيع، 2010، ص49 -50.
5) المصدر نفسه، ص51.
6) http;/ www.assakina.com /center / parties / 11557. htm / #ixzz zmmh 7rr Gc
7) المصدر نفسه.
8) المصدر نفسه.
9) المصدر نفسه.
10) حسين جليلي، مجلة التّراث الشّعبي يصدرها المركز الفلكلوري في وزارة العلام، دار الحريَّة للنشر، ص1975، ص5.
11) مصدر سابق، ص82.
12) مهدي حمود الانصاري، المصدر السّابق، ص85.
13) بيارفاقر، علم الاجتِمَاع السّياسي، الشّبكة العربيَّة، س، ص343-344.
14) بشير ناظر حميد، مدخل للأنثروبولوجيا الأيكولوجيَّة، ط1، بغداد، 2014، ص23.
15) قبارى محمد اسماعيل، مناهج البحث في علم الاجتِمَاع، منشأ دار المعارف الاسكندريَّة، 1981، ص132.
16) المصدر نفسه، ص133.
17) مصطفى عمر، مقدمة في مبادئ واسس البحث الاجتِمَاعي، دار الجواهري، ص135.
18) محمد علي، علم الاجتِمَاع والمنهج العلمي،ط4، دار المعرفة، الاسكندريَّة، 1991، ص151.
19) فاروق اسماعيل، المدخل إلى الانثروبولوجيا(النظريَّة والمجتمع) دار المعرفة الاسكندريَّة، 1987، ص11.
20) علي مكاوي، الأنثروبولوجيا الطّبيَّة (الدراسات نظريَّة والبحوث الميدانيَّة) دار العمريَّة الدّوحة، 1991ن ص151.

* مقابلة مع احد المتظاهرين في ساحة التّحرير وذلك في يوم الجمعة في تمام السّاعة 3:م عصرا.
** مقابلة مع احد المتظاهرين في ساحة التّحرير في يوم الجمعة المصادف 2016/3/19.
*** مقابلة مع احد المتظاهرين. في ساحت التّحرير، في السّاعة الخامسة مساء، يوم الجمعة المصادف، 3/4/ 2016.
**** مقابلة مع احد المتظاهرين في ساحة التّحرير في السّاعة الرّابعة والنصف مساء يوم الجمعة 2016/3/4.
***** مقابلة مع التّظاهر احد المتظاهرين في ساحة التّحرير، في السّاعة السّادسة مساء يوم الجمعة المصادف 3/11/ 2016.

****** مقابل مع المتظاهر علي حيال رخيص في ساحة التّحرير في ساعة السّادسة والنصف مساء يوم الجمعة المصادف 2016/3/11.

******* مقابلة مع احد المتظاهرين في ساحة التّحرير في السّاعة الثالث عصرا يوم الجمعة 2016 /3/4.

******** مقابلة مع احد المتظاهرين في ساحة التّحرير وذلك في يوم الجمعة في تمام السّاعة الرّابعة والنصف عصرا.

********* مقابلة مع احد المتظاهرين في ساحة التّحرير وذلك في يوم الجمعة في تمام السّاعة الخامسة عصرا.